مَقَالَةٌ

لبولص الراهب اسقف صيداء

في الفرق المتعارفة بين النصارى

تَوْطِئَة

هذه مقالة سادسة نقتطفها من اعمال بولص الراهب اسقف صيداء (راجع المشرق ١ : ٨٤٠ و ٤ : ٩٢١ و ٧ : ٢٧٣). وقد سبق تعريف صاحبها وبيان مقامه واعماله فلا نرى حاجة الى التكرار. وقد نقلنا هذه المقالة عن نسخة خطيّة نجد وصفها في الصفحة ٢٧٣ من سنة المشرق الجارية. وهي المقالة الخامسة من هذا المجموع النفيس. وقد قابلنا بين نسختنا وثلاث نُسخ أُخرى واحدة منها في المكتبة الواتيكانية والثانية في بيت صاحب الفضل حنّا افندي عوراء والثالثة لدى الخوري المحترم قسطنطين باشا فلم نجد بين هذه النسخ فرقاً يذكر الّا في بعض الفاظ عرضيّة لم نجد افادة في روايتها. ومن يطّلع على هذه المقالة يقرّ بلا شكّ لصاحبها بسمة العلم وسداد الرأي وحسن البيان اذ يبيّن كلّ فرقةٍ من نصارى زمانهِ ويعرّف ما في قولها من الشطط مفنّداً مزعمها تفنيداً لطيفاً قريب المنال

ل . ش

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد
الموحد جوده المثلث اقانيمهُ

لبولص الراهب اسقف صيدا الانطاكي

قول يدلّ على الفرق المتعارفة من النصارى في هذا الزمان

وتوضيح راي كل فرقةٍ منهم وتبيّن الخلف بينهم والردّ على معتقدي الخطا منهم

ابدأ بعد فاني لمّا تأملت الخلف الذي بين النصارى رأيت ان اشرح ما تراهُ كل فرقةٍ منهم واوضح الخلف بينهم والرد على المخالفين منهم بشرح مختصر ليسهل على من ينظر فيهِ واقول مستمدّاً العون والتوفيق من الله تعالى:

ان فرق النصارى المتعارفة في وقتنا هذا اربع فرق. وذلك ملكية ونسطوريّة ويعاقبة و (منوثليّة). وهذه الاربع الفرق فلا خلف بينها في ان الله تعالى واحد بالذات مثلث بالصفات التي يسمونها اقانيم. وهي آب وابن والروح القدس وان الله تعالى في آخر

الزمان ارسل كلمتهُ يعنون نطقهُ الذي هو ابنهُ المولود منهُ قبل كل الدهور من غير انفصال منهُ ولا تجزوء كما يرسل الانسان كلمتهُ الى من يسمعها من غير انفصال من العقل الوالد لها. وكما يرسل قرص الشمس للضوء المولود منهُ على الارض من غير انفصال بين القرص الوالد للضوء. فتجسد من الروح القدس ومن السيدة مرتريم العذراء بلا مباضعة رجل بل ببشارة ملاك الله لها. وولد منها بلا فسادٍ دخل على عذرتها لانهُ حفظ العذرة كما حفظ العلّيقة التي رآها موسى النبي تتقد ولا تحترق وليس يختلفون الّا في السيد المسيح المولود من السيدة مرتريم. وجميعهم متمسكون بالامانة البهية التي وضعها الآباء القديسون الثلثمائة والثمانية عشرة في المجمع الاوّل بمدينة نيقية الذي اجتمع في ايام قسطنطين الملك الكبير ابن هيلانة الملكة على اريوس الملحد. واذ قد ذكرت الامانة فيجب ان اشرحها لتكون دليلًا يستدل منها على اي الفرق متعلقة بالراي القويم والاعتقاد المستقيم وهي:

أومن بالهٍ واحد. اب ضابط الكل. خالق السماء والارض. ما يُرى وما لا يُرى. وبربٍ واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد. المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور. اله حق من اله حق. مولود غير مصنوع. مساوي للآب في الجوهر. الذي بهِ خلق كلًا. الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء. وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. وتأنس وصُلب عنّا على عهد بيلاطس البنطي. وتألم ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب. وصعد الى السماوات. وجلس عن يمين الاب. وايضاً يأتي بمجده يدين الاحياء والاموات. الذي ليس لملكه نهاية. وبالروح القدس الرب المحيي الذي من الاب ينبثق. الذي مع الآب والابن. يُسجد لهُ ويُمجد. الناطق بالانبياء. وفي كنيسة واحدة جامعيّة رسولية. واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وارتجي قيامة الموتى وحياة الدهر المؤتنف امين

واذ شرحتُ الامانة التي لا خلف فيها بين هذه الاربع الفرق التي في زماننا هذا في شيء منها اوضح ما تعتقدهُ الملكية فاقول:

ان الملكيّة يعتقدون ان السيد المسيح المولود من السيدة مرتريم قنوم واحد للهي وهو المولود من الآب قبل كل الدهور. وانهُ طبيعتان طبيعة الهية وطبيعة

بشرية . وفعلان فعل الهي وفعل بشري . ومشيئتان مشيئة الهية ومشيئة بشرية وان السيدة مرتريم والدة الله بقولهم واقنوم واحد الهي

واما النسطورية فيعتقدون انهُ قنومان قنوم الهي وقنوم بشري . وطبيعتان طبيعة الهية وطبيعة بشرية . وفعل واحد ومشيئة واحدة الهية وان مرتريم ليست والدة الاله بل والدة المسيح

واما اليعاقبة فيعتقدون انهُ قنوم واحد الهي وطبيعة واحدة الهية وفعل واحد الهي ومشيئة واحدة الهية

اما (المتوثليون) فيعتقدون انهُ قنوم واحد الهي وطبيعتان طبيعة الهية وطبيعة بشرية وفعل واحد الهي ومشيئة واحدة الهية

فاما احتجاج الملكية الذي انا الحقير احدهم عن قولهم قنوماً واحداً وطبيعتين ومشيئتين فقالوا انا لما رأينا السيد المسيح محبولاً به مولوداً مختوناً لثمانية ايام ذا جسم يُحَدُّ بالطول والعرض والعمق قابلاً للزيادة والنمو يلزمهُ حدّ الانسان الذي هو حي ناطق ميت معتد من يوحنا المعمدان ياكل ويشرب قابلاً للاعراض مصلوباً متألماً مدفوناً علمنا ان هذه الافعال افعالٌ بشريةٌ لازمة لطبيعة بشرية . لان الطبيعة الالهية تعلو عن جميع ما ذكرنا فاعتقدنا فعلاً بشرياً لطبيعة بشرية . ثم لما رأيناهُ محبولاً به من غير مباضعة رجل مولوداً من غير فساد عذرة الوالدة الطاهرة مسجوداً لهُ من ملوك فارس هابطاً عليهِ في المعاد الروح القدس مقولاً عنهُ من الآب « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت لهُ فاطيعوا » محوّلاً الماء في العرس بقانا الجليل شراباً عجيباً للاموات منهضاً للمخلّعين منقياً للبرص مكثراً للقليل غفاراً للخطايا فاتحاً لاعين العميان عالماً بما تحويه الصدور مشفياً لامراض لا شفاء لها مظلماً للشمس وهو على الصليب هاتكاً لستر الهيكل منهضاً لقوم متن في القبور ناهضاً من الاموات لثلثة ايام صاعداً الى السموات على الغمام جالساً عن يمين الآب باعثاً للروح القدس الى التلاميذ في علية صهيون كموعده لهم . ورأينا هذه الافعال بامر منهُ لا بطلبة ولا بسؤال مثل الانبياء الذين كانوا اذا سألوا ربما اجيبوا الى ما لا يطلبوه وربما لم يُجابوا علمنا انها افعال الهية للاله فاعتقدنا فعلاً الهياً لطبيعة الهية . ان هذه الافعال تجل عن الطبيعة البشرية

وعلمنا ان قلنا انهُ طبيعة اله وليس طبيعة انسان كان ذلك مخالفاً لما في الامانة البهية

من انهُ نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس . ثم نكون قد اطلقنا على طبيعة اللاهوت ما لا يجوز ان يتفوه به من هو ذو لبٍ وعقلٍ . وان قلنا انهُ طبيعة بشريَّة وليس طبيعة اله فنكون قد خالفنا ايضاً في الامانة من انهُ ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور . فنظرنا في الانجيل المقدَّس فوجدنا متى الانجيلي ولوقا ينسبان للسيد المسيح نسبة بشريَّة ووجدنا مرقص الانجيلي ويوحنَّا المتكلم في اللاهوت ينسبان لهُ نسبة الهية ووجدنا السيد المسيح يقول عن ذاته في مواضع عدة « انهُ ابن البشر » . وفي غيرها يقول : « انا والآب واحد . من رآني فقد رأى الآب . وانا في الاب والآب فيَّ » . فلمَّا قالت لهُ اليهود انك انسان وتجعل ذاتك الهاً . قال لهم : « ان لم افعل افعال ابي والَّا فلا تؤمنوا بي » . ولمَّا قال لهُ بطرس انتَ هو المسيح ابن الله لم ينكر عليهِ ذلك بل مدحهُ وقال انهُ اعلان من الآب . فلمَّا رأينا امرين ظاهرين من شخص واحد وذكر مولودين مولود الهي ومولود بشري من الانجيل المقدَّس ومن الامانة الايمية فنظرنا في الاتحاد فوجدناهُ يُقال على ثلثة انحاء : منها اتحاد ظهوري وهو اتحاد النار بالحديد . ومنها اتحاد مجاورة كالزيت والماء في القنديل . ومنها اتحاد ممازجة كالخل والعسل . فنظرنا في هذه الاتحادات فوجدنا الاتحاد الظهوري اقرب الى ما نحن عنهُ فاحصون لان النار اذا ما هي اتحدت بالحديد كانت القطعة واحدة جامعة لطبيعتين . وكل طبيعة منها قائمة بذاتها من غير فساد يدخل على الطبيعة الواحدة من الاخرى والقطعة واحدة وليست اثنتين وهي من حيث النار تحرق وتضيء . ومن حيث الحديد تقبل الشجّ والقطع والطيّ من غير وصب يدخل على طبيعة النار اللطيفة مما يدخل على طبيعة الحديد الكثيفة . فلمَّا ان اتحاد طبيعتي السيد المسيح في قنومه الواحد مُشاكل لاتحاد طبيعة النار اللطيفة وطبيعة الحديد الكثيفة في قنوم القطعة الواحدة الجامعة لطبيعتين وفعلين مختلفين . وانهُ من حيث هو اله افعل المُعجز ومن حيث هو انسان اظهر العَجز والفعلان للسيد المسيح الواحد الذي من حيث هو ابن الله اي خلقهُ المولود منهُ قبل كل الدهور هو اله قديم ازلي خالق ومن حيث تجسَّد من مريم العذراء وتأنس وتألم هو انسان زمني مخلوق فتمسكنا بالاتحاد الظهوري الذي هو كالنار والحديد

ولمَّا صحَّ لنا الاحتجاج على الطبيعتين والفعلين من وجوه لا يمكن دفعها وذلك

من الانجيل المقدس ومن الامانة التي لا يختلف فيها احد من سائر النصارى اجمعين ومن العقل الذي هو كالمحك والميزان رأينا ان نوضح ايضاً على القنوم الواحد احتجاجاً بيناً من الانجيل المقدس كايضاحنا قنوم القطعة الحديد الجامعة طبيعتين من المشاهدة فنقول:

ان السيد المسيح يقول في الانجيل المقدس لتلاميذه الاطهار: « اذهبوا الى سائر الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس ». فعلمنا اننا ان قلنا انَّ السيد المسيح قنومان تكل طبيعة قنوم. كقول النسطورية لم يصح لنا قول السيد المسيح في الانجيل المقدس للتلاميذ اذ تصير الثلثة الاقانيم المأمور بها بالتعمد اربعة. وذلك قنوم الاب وقنوما السيد المسيح. وقنوم الروح القدس. وان تمسكنا باحد قنومي السيد المسيح اللذين يذكرهما النسطوري ورفضنا الآخر مثلهم فنكون قد جزأناهُ وقسمناهُ وصار تعبُّدنا وايماننا بنصف المسيح لا بكماله وهذا الكفر الذي نعوذ بالله منهُ. فمن هاهنا صحَّ عندنا ان السيد المسيح قنوم واحد وطبيعتان وفعلان. فان قال النسطوري: اذا كانت الملكية تقول ان المسيح قنوم واحد وهو قنوم الابن الازلي فالشخص المرئي الذي اكل وشرب ودخلت عليهِ الاعراض وقبل الحدود والزيادة والنموّ لم يكن لهُ قنوم. قلنا ان الابن الازلي لم يأخذ من السيدة مريم قنوماً بل طبيعة بشرية وصار قنومهُ قنوماً لها. لتكون الطبيعتان الالهية والبشرية قد اتحدتا في قنوم واحد وهو قنوم الابن الازلي لانهُ لو كان اتخذ قنوماً بشرياً لما كان الاتحاد وقت البشارة. وكان يكون اثنين ومسيحين وشخصين

فاما الشيتان فهو ردّ الاحتجاج عليهما في الردّ على (المنوثليين). وهذا رأي الملكية. فاما النسطور فلزموا اتحاد المجاورة وهو الزيت والماء في القنديل. لانهم قالوا انَّ السيد المسيح قنومان قنوم الهي وقنوم بشري. وطبيعتان طبيعة الهية وطبيعة بشرية وفعل واحد الهي ومشيئة واحدة الهية. وهذا القول يوجب اثنين اثنين وشخصين ومسيحين ويتَّضح فسادهُ من قول السيد المسيح للتلاميذ الاطهار: « عمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس ». ثم من قول الرسول بولس الذي ذكرهُ في رسالتهِ الى اهل غلاطية وهو: « لمَّا اتى كمال الزمان ارسل الله ابنهُ مولوداً من امرأة صائراً تحت الناموس. ليشتري الذين تحت الناموس ». وهذا يدلُّ على ان الابن الازلي هو ابن الله المولود من السيدة

مرتريم بالطبيعة البشريّة التي بها صارت تحت الناموس لا بالطبيعة الالهية اذ طبيعة اللاهوت لا توصف بولادة ولا بحبل ولا بمصير تحت الناموس ولا بشيء من امور البشريّة ويتّضح ذلك من الامانة ايضاً التي يقول فيها الاباء القديسون: « وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مرتريم العذراء وتأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطي وتألم ودُفن » فعلمنا ان قول النسطوريّة قنومين مخالف لما قالهُ الرسول بولص ولما قالتهُ الاباء القديسون في الامانة البهيّة اللذين يدلّان على ان ابن الله المولود من الاب قبل كل الدهور هو المولود من السيدة مرتريم لمّا اتى كمال الزمان الذي ذكرهُ بولص الرسول. وهو المتألم المصلوب المدفون بالطبيعة البشرية لا بالطبيعة الالهية - ومن هاهنا قلنا ان السيدة مرتريم والدة الاله بالطبيعة البشريّة لا بالطبيعة الالهية

واذ قد اوضحنا فساد رأي النسطور وما يلزمهم من الغلط بقولهم ان السيد المسيح قنومان وان السيدة مرتريم ليست والدة اله وانهُ ذو فعل واحد الهي ولو كانوا قد اصابوا في قولهم بطبيعتين فنوضح سوء رأي اليعاقبة وما يلزمهم من الغلط بقولهم ان السيد المسيح طبيعة واحدة الهية وفعل واحد الهي ومشيئة واحدة الهية وان كانوا قد اصابوا في قولهم قنوم واحد الهي

ونقول انهم بقولهم طبيعة واحدة الهية يوجبون ان المحبول به المولود المختون الداخل عليه الحدود والأعراض ابن الله المولود من الاب الذي به خُلق كلٌّ بالطبيعة الالهية اذ ليس يعترفون بطبيعتين طبيعة الهيــة عالية عن الحدود والاعراض وطبيعة بشريّة داخل عليهــا الحدود والاوصاب فهم بهذا الرأي القبيح يوجبون انَّ الههم مات ودُفن وبقي في المقبرة ثلاثة ايام ودخل على الطبيعة الالهيــة الام. فالنسطورُ جزّأوا المسيح وقسموه واليعاقبة مزجوهُ امتزاجاً فاسداً بقولهم طبيعة واحدة من طبيعتين فجعلوهُ لا لهاً ولا انساناً مثل الخلّ والعسل اللذين اذا امتزجا استحال كلٌّ منهما عن طبيعتهِ فيكون الخلّ غير طبيعة خلّ والعسل غير طبيعة عسل لا تقوم كل واحدةٍ من الطبيعتين بذاتها بل قد صارتا طبيعةً ثالثةً وهي طبيعة سكنجبيل فان قالوا انّا انّما نقول تألم ودخلت عليه الحدود والاعراض بالجسد. قلنا اذا

كنتم معترفين بجسدٍ فقد لزمكم الاعتراف بطبيعتين طبيعة خالقة وطبيعة مخلوقة. فان كان ذلك يلزمكم ضرورة كما قالتهُ الآباء القديسون في الامانة البهية انهُ تجسَّد وتأنس وهذا يدل على طبيعتين طبيعة اله قديم ازلي الذي هو ابن الله وطبيعة انسان مخلوقة التي بها كانت ولادة الازلي من السيدة مرتريم وعليها دخلت الاعراض وبها كان الجلوس عن يمين الآب الذي ذكرهُ الآباء القديسون حسب ما جاء في الانجيل المقدَّس وبها يأتي ليدين الاحياء والاموات. فامَّا الطبيعة الالهيَّة فلم تفارقها من وقت الاتحاد بها في القنوم عند البشارة وهو الاتحاد الظهوري المقدَّم ذكرهُ لا في احشاء مرتريم السيدة. ولا في الولادة ولا في الختانة ولا على الصليب ولا في القبر مع الجسم ولا في الجحيم مع النفس ولا في الفردوس مع اللص ولا في الجلوس عن يمين الآب اذ الطبيعة الالهيَّة غير متبعضة ولا متجزئة ولا متألمة ولا منحصرة بل تملأ الكل بلا انحصار ولا دخول عرض عليها

ونحن نريد البيان بياناً والايضاح ايضاحاً فنقول انَّ السيد المسيح يقول في الانجيل المقدس للتلاميذ الاطهار بعد قيامتهِ المحيية « اني صاعدٌ الى ابي وابيكم والهي والهكم » وهذا القول يوضح بهِ انهُ ابوهُ لانهُ مولود منهُ قبل كل الدهور وابوهم بتفضلهِ عليهم واظهارهم من العدم الى الوجود وبخلقتهِ اياهم حسب ما علَّمهم ان يقولوا اذا صلوا « ابانا الذي في السماوات » فهو ابوهم على هذه الصفة لا على الصفة التي هو ابوه عليها وقولهُ « الهي والهكم » يدل على طبيعة بشريَّة مخلوقة مثل طبيعتهم فهو الههم والههم وقد اوضح ذلك وهو على الصليب بقولهِ « الهي الهي لماذا اهملتني » وفي هذا مقنع على الطبيعتين الالهيَّة والبشريَّة فان احتجَّ اليعقوبي بقول يوحنَّا الانجيليّ المتكلم في اللاهوت اذ يقول في الانجيل المقدس « والكلمة صار لحماً وسكن فينا » اجبناهُ انَّ قول الانجيل المقدس « والكلمة صار لحماً وسكن فينا » اراد بهِ انهُ صار لحماً بالقنوم لا بالطبيعة لانهُ لو كان صار لحماً بالطبيعة لكان المولود من السيدة مرتريم الاب والابن والروح القدس اذ ليس اللاهوت ثلث طبائع تتَّحد الواحدة وتبقى الاثنتان غير متحدتين كالاقانيم وان كان اليعاقبة والمنوثليُّون يوجبون ذلك بقولهم « قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت الذي صلب من اجلنا » فيجعلون المصلوب الاب والابن والروح القدس لان الله الاب والقوي الابن والذي لا يموت الروح القدس

واذ قد اوضحنا فساد رأيَ اليعاقبة فنوضح ايضاً فساد رأيَ النسطور مع رأي المنوثليين في قولهم بمشيئةٍ واحدة الهيَّة وفعل واحد الهي وان كان المنوثليُّون قد اصابوا بقولهم قنوم واحد بطبيعتين. ونقول اما الفعل الذي يعتقدونهُ في السيد المسيح ويزعمون انهُ الهي فقد اوضحنا ما يُفسد رأيهم فيهِ في احتجاج الملكيَّة بما يدل على فعلين. فما فيهِ كفوٌ لردع النسطور واليعاقبة والمنوثليين

واما المشيئة التي اتفق عليها المنوثليُّون والنسطور واليعاقبة وخالفوا الملكيَّة وزعموا انَّ في السيد المسيح مشيئة واحدة الهيَّة فنُجيب عن ذلك قائلين ان السيد المسيح يقول وقت الآلام « ابتاهُ ان امكن ان يجوز عني هذه الكاس لكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك » وهذا فيدل على مشيئتين لان اللاهوت لا يجوز ان يُقال انَّ لهُ مشيئتين وهذا ردٌ على النسطور ايضاً بقولهم مشيئة واحدة الهيَّة وعلى اليعاقبة ايضاً ان السيد المسيح ذو طبيعةٍ واحدة الهيَّة ومشيئة واحدة الهيَّة لانَّ بقولهِ « لا كمشيئتي بل كمشيئتك » دلَّ على مشيئتين لطبيعتين

واذ قد اتينا على ما قصدنا بيانهُ بتأييد الله وعونهِ المؤتي من العود اليابس ثمرًا ومن الصخرة الصمَّاء ماء نسأل الله الاب والابن والروح القدس ان يكفَّ تظالم الكنيسة المقدَّسة ويُنظم افتراقها ويجمع شملها ويزيل الانشقاق منها ويثبت المحبَّة الروحانيَّة بين اولادها فانَّ بهِ يليق المجد والاكرام والتسبيح والوقار من الان والى دهر الداهرين

النَبرُ أو المدُّ والقَصْرُ

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

١ توثير

ليس من امةٍ على وجه البسيطة اعتنى ابناؤها بالتجويد مثل امة البيزنطيين فانهم بلغوا في تحقيق(١ التوراة شأوًا بعيدًا تقطَّعت دونهم اعناقُ مسابقيهم فيهِ . وقد فاقوا

(١ التحقيق عند اهل التجويد : «اعطاء كل حرفٍ حقَّهُ من اشباع المدّ وتحقيق الهمزة واتمام الحركات واعتماد الاظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها واخراج بعضها من بعض بالكت